علمتني سورة الأحزاب .. غزة أنموذجًا (2)

بقلم الدكتور زكريا الخنجي

نُشر في 15 أكتوبر 2023

ما زالت سورة الأحزاب تُشرّح البشر المحيطين بالخندق، وقد تحدثنا في مقال سابق عن أنواع البشر وكيف صنفهم اللّه سبحانه وتعالى وهو عليم بالبشر.

وتستمر السورة في سرد بعض الأحداث التي جرت خلال الغزوة، حتى تصل إلى الآية (9) التي يقول فيها اللّه سبحانه وتعالى (يَـٰٓأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُواْ أذكُرُواْ نِعمَةَ ٱللَّهِ عَلَيكُم إِذ جَاءَتكُم جُنُود فَأَرسَلنَا عَلَيهِم رِيحا وَجُنُودا لَّم تَرَوهَا، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعمَلُونَ بَصِيرًا). ومن الواضح جدًا هنا، وكما نعلم من سياق الأحداث أن اللّه سبحانه وتعالى أرسل رياحًا شديدة – وهي واحدة من جنود اللّه التي لا يُحسب لها حساب – فقلبت موازين القوة المادية والبشرية.

ويقول تعالى في سورة الأنفال – الآية 10 وهو يتحدث عن غزوة بدر حينما كانت موازين القوة المادية والبشرية كلها تميل لصالح المشركين، ولكن كل تلك القوى ليس لها اعتبار أمام قوة اللّه سبحانه وتعالى الذي حسم الأمور لصالح رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم والدولة الإسلامية الفتية بجيش من الملائكة غير المرئية، فانتصرت دولة الإسلام، وحينها قال تعالى في قرآن يتلى إلى قيام القيامة (وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)،

نعم، (وما النصر إلا من عند اللّه)؛

وهنا نحن أمام سؤالين؛ الأول: هل يعني ذلك ألا نستعد بالقوة المادية والمعنوية والأسلحة والإعلام وما إلى ذلك لأنها غير ضرورية وننتظر نصر اللّه فقط ؟

وجواب هذا السؤال يأتينا من لدن اللّه سبحانه وتعالى، إذ يقول تعالى في سورة الأنفال – الآية 60 (أَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ). ويمكن أن نلاحظ أن كلمة (قوة) جاءت غير معرفة وهذا يعني كل شيء، فنحن نتحدث هنا عن الجوانب المادية والمعنوية والعقائدية والفكرية والإعلامية والاقتصادية وكل ما تفكر فيه الآن.

أما السؤال الثاني، فهو لماذا لا ينزل النصر ونحن منذ أكثر من 70 سنة نقاتل، ونحن لا ننتصر ؟ هذا السؤال هو السؤال الذهبي الذي يتم تداوله اليوم في جميع بقاع الدول العربية، إلا أن الناس قد نسوا أو تناسوا أن للنصر ثمن، ونصر اللّه سبحانه غالي الثمن، فهل دفعنا ثمن هذا النصر ؟

- كيف ننتصر والقرآن يقرأ في جميع دول العالم العربي ولكنه معطل عن العمل، يُعمل به في المساجد والمحاكم الشرعية فقط، ولكنه معطل في بقية أروقة الحياة ؟
- كيف ننتصر وشباب العالم العربي من أقصاه إلى أقصاه يعرفون كل التفاصيل عن لاعبين كرة القدم، ومشاهير التواصل الاجتماعي، وكل المغنيين والممثلين وكل هؤلاء، ولكنهم في المقابل لا

يعرفون أي شيء عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم والصحابة الكرام رضوان اللّه عليهم ؟

- كيف ننتصر والفساد الإداري والمالي مستشري في كل أقطار وأرجاء وأروقة العالم العربي ؟
- كيف ننتصر والخمور تباع جهارًا نهارًا في شوارع وطرقات الدول العربية ؟
- كيف ننتصر وإعلامنا يستهزأ بالحجاب والمرأة المسلمة والمظاهر الإسلامية ؟
- كيف ننتصر ومفكرين العرب مهزومين فكريًا ويعانون من خواء روحي وفكري ووجداني ؟
- كيف ننتصر وأرواحنا ورغباتنا ورقابنا مرتبطة ومعلقة بالعدو، حتى أصبحنا لا نشعر أنه عدو، وإنما أصبحنا نعتقد أنه صديق وحمل وديع ؟
- كيف ننتصر ونحن لا نؤمن أن المقاطعة الاقتصادية سلاح، ثم نفكر ونقول: "الحرب ستنتهي بعد عدة أيام وسيعود كل شيء إلى ما كان عليه، فلماذا المقاطعة إذن ؟".
- كيف ننتصر ونحن لا نشعر لا من قريب أو من بعيد بما يعانيه أهل الرباط ؟
- كيف ننتصر ونحن نعاني الخواء والفراغ الروحي والوجداني ؟

لنعيد التفكير في أنفسنا وعقولنا وأرواحنا، إن كنا نتوق إلى الانتصار.

فهل نرغب في الانتصار أم البقاء في حضيض العالم ؟